بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَتَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون . وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعا وَلا تَفَرَّقُوا ﴾

« صدق الله العظيم »

[سورة آل عمران الآيتان : ١٠٢ و ١٠٣]

فى حديثنا السابق تكلمنا عن خروج آدم من الجنة وعودته إليها إذا عمل لها عملها واستحقها .

وهذه المرة نتكلم عن الأمة ، أمة الإسلام أمة الله عندما يكون الإنسان عضواً فإن صلة الإنسان بخالقه لا تكون فى أكمل صورها إلا عن طريق الأمة ، أى فى جماعة المسلمين المعتصمة بحبل الله ، وإذا أنت قرأت القرآن ملياً لاحظت أنه حيثما ورد ذكر الإنسان المفرد كان ذلك فى معرض اللوم وبيان أوجه النقص فى خلق الإنسان وما يستتبعه ذلك من التحذير والإنذار .

وحيثما ورد ذكر الإنسان فى صورة الجماعة أو الأمة كان ذلك فى معرض التوجيه والهداية والرضا وبيان سبيل الرشاد .

ولله فى ذلك حكمة وحكم اختص بها دينه الذى أرسل به رسله واحداً بعد واحد ، ثم ختم بسيد المرسلين حامل الرسالة الصافية الكاملة ، ومبلغها إلى

الناس فى أكمل صورة يمكن أن يبلغها بشر ، لأن الإسلام ذروة رسالات الله للبشر . ورسول الإسلام ذروة الكمال الإنسانى : صفاء وطهارة وإخلاصاً وبلاغاً وذكاء وقدرة على القيام بالمسئوليات ، ولهذا فإن دين الله واحد كما أنه هو جل جلاله واحد . أما الأديان بالجمع فمن صنع الناس .

وإليك البراهين . فاقرأ هذه الآيات التى يجىء فيها ذكر الإنسان المفرد .

﴿ يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخفف عَنكُم وخلق الإِنسانُ ضعِيفاً ﴾ .

[النساء ٤/ ٢٨] .

﴿ وإذا مَسَّ الإِنسانُ الضُر دعَانا لِجنبه أَو قاعداً أو قائِماً ، فلما كَشَفنا عنهُ ضُره مَر كأن لَّم يدعنا إلى ضُرٍّ مَسَه كذلِك زُين للمُسرفِين ماكانُوا يعَملُون ﴾ [يونس ١٠/ ١٢] .

﴿ وإنْ تعُدُّوا نعمة اللهِ لا تُحصُوها إن الإِنسان لظلوم كفارٌ ﴾

[إبراهيم ١٤/ ٣٤] .

﴿ خَلَقَ الإِنسان مِن نُطفةٍ فإذا هُو خصِيمٌ مبِينٌ ﴾ [النحل ١٦/ ٤] .

﴿ وَيدْعُ الإِنسانُ بالشرِّ دُعاءه بالخير ، وكان الإِنسانُ عجُولاً ﴾

[الإسراء ١٧/ ١١] .

﴿ وإذا مسكُم الضُرُ فى البحرِ ضَل من تدعون إلا إياهُ ، فلما نجاكُم إلى البر أعرضتُم ، وكان الإِنسانُ كفُوراً ﴾ [الإسراء ١٧/ ٦٧] .

﴿ وإذا أنعمنا على الإِنسانِ أعرَض ونأى بجانِبه ، وإذا مَسه الشر كان يئُوساً ﴾ [الإسراء ١٧/ ٨٣] .

﴿ قُل لو أنتُم تملكُون خزائِن رحمة ربى إذاً لأمسكتم خَشية الإِنفاقِ وكان الإِنسانُ قتُوراً ﴾ [الإسراء ١٧/ ١٠٠] .

﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثلٍ ، وكان الإنسانُ أكثر شَيءٍ جَدلاً ﴾ [الكهف ١٨/ ٥٤] .

﴿ ويقول الإنسان أَءِذا مامت لسوف أخرج حياً . أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يَكُ شَيئاً ﴾ [مريم ١٩/ ٦٦ ـ ٦٧] .

﴿ خُلِق الإنسانُ من عجلٍ سأُورِيكُم آياتِي فلا تستعجِلُون ﴾

[الأنبياء ٢١/ ٣٧] .

﴿ إنـا عـرضنـا الأمانـة على السَّمَـواتِ والأرضِ والجِبـال فأَبين أن يحمِلنها وأشفقن مِنها وحَملَها الإنسانُ إنهُ كان ظَلُوماً جهُولاً ﴾ .

[الأحزاب ٣٣/ ٧٢] .

﴿ وإذا مس الإنسان ضُرٌّ دعا ربه مُنيبا إليـه ثم إذا خوله نِعمة منه نسِي ماكان يدعو إليه مِن قبلُ وجعل لله أندادا ليُضل عن سبيلِه قُل تَمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحـابِ النارِ . أمن هُـو قانِت آنـاء الليلِ ساجـداً وقائِماً يحذرُ الآخِـرة ويرجو رحمة ربـهِ قل هل يستوى الـذين يعلمُون والذين لا يعلمُون إنما يتذكرُ أولُو الألبابِ ﴾ [الزمر ٣٩/ ٨ ـ ٩] .

وأظن أن هـذا يكفى فالغـالبيـة العظمى من الآيات التى تخاطب الإنسـان المفرد على هذه الشاكلة .

أمـا غالبيـة الآيـات التى يـرد فيها الكـلام عن الإنسـان أو إليـه بصـيغة الجمـع « أناس » و « نـاس » فان الكلام لا يصل إلى هذا العنف ، وإنما يصلنا الحديث فى مثل قوله تعالى فى [سورة الزمر ٣٩/ ٦] ﴿ خلقكم مِن نفس واحدةٍ ثُم جعل مِنها زوجَها .. ﴾ وفى مجال الحديث عن نعمة الله قوله ﴿ كان النـاس أمـة واحـدة فبعث الله النبيين مبشِرين ومُنـذِرين وأنـزل معهُم الكِتاب بالحق ﴾ [البقرة ٢/ ٢١٣] وذلك فى مجال الرسل والرسالات قوله

جل وعـــلا فى حـــديث لـوط : ﴿ **ومـاكان جـواب قومـه إلا أن قالـوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون** ﴾ [الأعراف ٧/ ٨٢] .

أمـا فى حديث الله سبحـانه إلى النـاس بالجمع ، فهـو فى الغالب حـديث نصح وتوجيه وأمر كريم ورحمة : ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا النَاسُ قد جَاءَكُمُ الرسولُ بالحق من ربكم فامنوا خيراً لكم** ﴾ [النســاء ٤/ ١٧٠] و ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا النـاسُ قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً** ﴾ [النساء ٤/ ١٧٤] .

أما إذا كان الحديث مـوجها للمؤمنين فى صيغة « يا أيها الـذين آمنوا » فهنا تجد الخير كله والحدب كله ورحمة الله كلها .

بماذا نخرج من هذا كله ؟

لقـد سبق أن قلت : إن القـرآن كلام الله لا يمكن أن يكـون شىء فيـه إلا بحساب . فالله سبحانه عندما يقول : ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا الإنسانُ ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلـك فى أى صورة ماشاء ركبك** ﴾ [الانفطار ٨٢/ ٦ ، ٧ ، ٨] موجها الحديث إلى الإنسان لائماً ، قد صاغ الآية فى هذه الصورة لأنها أنسب ماتكون للمعنى المراد ، وهى تختلف تماماً عن الصورة المناسبة لقوله تعالى مخاطباً الإنسان بصيغة الجمع ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا النـاسُ اتقوا ربكم إن زلـزلة الساعة شىء عظيم** ﴾ (الحج ٢٢/ ١) فهنـا موقف نصـح وتوجيـه فيه حـدب إلهى عظيم .

وذلك كله راجع فيما أرى وهو رأى أرجو ألا يـؤخذ إلا فى هذه الحدود ـ هو أن الله سبحـانه أراد أن تكـون آخـر رسالاتـه إلى البشر مـوجهة فى صميمهـا إلى البشرية كلهـا و إلى أمة المؤمنين فى مجموعهـا ، لأن الأمة هى مستـودع الخير كله وهى العاصمـة للإنسان من الزلل ، وهـى سبيل الخير ـ أما الإنسان المفـرد فإنه ضعيف متخوف أنـانى بل بدائى ، ومـن ثم فإن الخير الذى ينتظـر منه قليل ،

وهنا تتضح لنا مرادات الله العليا من وراء رسالة الإسلام ، فإن دارسى التاريخ يعرفون أن الأمة أو الجماعة هى مهد الحضارة ، أما الإنسان المفرد الهائم على وجهه فى البرارى فلا يقيم حضارة ، ولا يخطو خطوة تقدم واحدة ، وحيث إن الإسلام فى ذاته حضارة لا قاعدة حضارية كما يقولون ـ فهو دين الجماعة ودين الأمة ، ومحمد رسول الإسلام كان يكفيه أن يبلغ رسالته ثم ينزوى وينفرد بنفسه أو مع طائفة من الذين اتبعوه ويعبد الله ، وهكذا فعل كل الأنبياء والرسل الذين سبقوه ، أما هو فكان همه الأول هو إنشاء الجماعة الإسلامية أو الأمة الإسلامية ، والأمة هى التى تطبق الدين وتحفظه وترعاه وهى التى تنشره بين الناس . والشعور بأن الأمة أو جماعة المؤمنين هى القاعدة هو الذى حفز رسول الله ﷺ على دخول دار الأرقم والدعوة فيها ، فهنا فى سكون بيت مقفل بكون اتصال الجماعة برسولها على أمته ، وهنا يرى المؤمنين رسولهم وقدوتهم ، وكيف يعيش وكيف يتصرف فينشئوا على مثاله ، ورسول الله دخل دار الأرقم ودعا فيها فى أوائل السنة الثالثة للبعثة ، ولم يكن على المسلمين خوف إذا ذاك ، فإن كفار مكة الذين نصبوا أنفسهم لعداوة الإسلام لم يكونوا قد تنبهوا بعد إلى خطورة الدعوة التى يدعو بها رسول الله ، وعندما انتهت فترة دار الأرقم قرابة نهاية السنة الخامسة للبعثة على أثر إسلام عمر وشعور المسلمين بالقوة أى بقوة الجماعة إلى جانب قوة الإيمان خرجت الأمة من معتصمها ، وقد صنعت على يد الله ورسوله أقوى من الحديد وعندما اتجهت جماعة المسلمين الصغيرة إلى مجلس القوم عند الكعبة يتقدمها رسوله صلوات الله عليه وأبو بكر وعمر وحمزة ، وأقامت صلاتها تحت نظر المكيين كان المصير قد تحدد : قامت الأمة حاملة الدين ، ولن يثبت لها أحد ، وعندما هاجر الرسول إلى المدينة وبينما كان يبنى المسجد لكى يكون دار عبادة للأمة ومجمعاً لها ، بادر إلى إنشاء الأمة إنشاء سياسياً يفهمه الناس ، وهذه الأمة لا تقوم بأمر من محمد بل بالتشاور مع أصحابه ، لأن النص المكتوب لابد أن

يصدر من القلوب حتى تتبعه القلوب ، وهنا تقرأ سطوراً مثل :

ـ هذا كتاب من محمد النبى ﷺ بين المؤمنين والمسلمين فى قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم .

ـ إنهم أمة واحدة من دون الناس .

ـ و إن المؤمنين لا يتركون مفرحا (مثقلاً بالدين أو أسيرا) بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أر عقل .

ـ لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه .

ـ وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين .

ـ إن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم .

ـ ولا يقتل مؤمن مؤمناً فى كافر ولا ينصر كافراً على مؤمن .

ـ وأن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم .

ـ وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض من دون الناس .

ـ وأنه من اتبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم .

إلى آخر مواد هذا الدستور الفريد الذى صنعه الله على يد رسوله وأمته . حقا إن آيات القرآن الكريم ستتنزل بكل ماتتضمنه هذه الوثيقة ، ولكن القرآن ينزل نجوماً على نحو قدرة الله ونحن الآن فى حاجة إلى إعلان قيام الأمة ، لأن شجرة الإيمان تنمو على أصح نمو وأكمله فى ظلال أمته ، والمؤمن يريد أن يشعر أن أمته لا قرابته ولا عصبيته ولا ثروته هى الحصن الذى يؤويه ، هنا فى ذلك الحصن ينمو أفراد الأمة بروح الأمة والجماعة أى بروح الحضارة ، هنا وداخل

حصن الإيمان سيعيش الناس جماعة ، والحياة في الجماعة الفاضلة تهذب الأخلاق وتعين الإنسان على التخلق بأخلاق الجماعة ، وهي شيء آخر غير أخلاق الفرد .

هذه حكمة الله في مخاطبة الإنسان المفرد على النحو الذي رأيناه ، لأنه إيمانياً وحضارياً لا يعني شيئاً ، وقبل أن أخطو خطوة أخرى من تحليل الآية التي جعلتها محوراً لهذا الحديث أذكرك بحقيقة غابت عن السلف ولكنها على ضوء التطور التاريخي الراهن لا أظنها تغيب عن السلف .

فمن البديهي أن الإنسان إذا صلى وحده هادئاً آمناً في سرب بيته تكون صلاته أصفى وأخلص ، فلا أحد يشغله ولا صوت يقطع عليه قنوته .

ولكن الله سبحانه فضل على صلاة الفرد صلاة الجماعة مرات بعد مرات ، مع أن الإنسان إذا قام يصلي في المسجد أو في جماعة الناس لا يسلم من التشاغل بأمر من حوله مهما بذل من جهد في الانعزال بنفسه عن الناس ، وكلنا نصلي أفراداً ونصلي جماعات ، وكلنا يعرف هذه الحقيقة ، ولكن الله أعلم بشئون عباده فهو يريدنا أن نصلي جماعة وإن انتقصت الجماعة في خلاص النفس واطمئنان الفؤاد

لأن الجماعة والامة هي حصن الإسلام ومعقل الإيمان ، ألم يقل رسول الله ﷺ أحاديث مجمع عليها في معنى أن صبر أحدكم على مجالس المسلمين ساعة خير من صلاة أو عبادة كذا سنة ؟ فهذه هي الحقيقة الكبرى التي تتمثل فيها قوة الإسلام ، وبدون الأمة وروح الأمة نقرأ تاريخ الإسلام وكأننا نقرأ تاريخ أمة أخرى .

فإذا كنت معي في أن الأمة والجماعة هي سر قوة الإسلام وفضيلته الكبرى ، فلنعد إلى المصحف ، ونقرأ معاً بقية هذه الآيات الكريمات التي اخترتها محوراً

لحـديث اليـوم فنقـرأ فى سـورة آل عمـران : ﴿ **واعتصِمُوا بِحَبل اللهِ جميعاً ولا تفرقُـوا واذكُروا نِعمـة اللهِ عليكم إذا كُنتُم أعـداء فألَف بَين قَلُـوبِكُم فاصبحتم بنعمتِهِ اخـواناً وكُنتم على شفا حُفـرةٍ مِن النارِ فانقـذكُم مِنها كذلِك يُبيِن اللهُ لكُم آياتِهِ لعلكُم تهتدُون** ﴾ [آل عمران ٣/ ١٠٣] .

والآن خذ هذه الآيات فى ذهنك وتأمل حالة عالم الإسلام من حولك وقل لى أترانا مسلمين ؟ أو بتعبير أخف : أترانا على الإسلام القويم ؟

هل نحن معتصمون بحبل الله جميعاً غير متفرقين ؟

وهل كنا كذلك بالأمس أو أول أمس ، وهكذا راجعين إلى أيام الراشدين ؟

لا والله وماعرفنا غير الفرقة والخلاف ، والله سبحـانه أنقذنا من حفرة النار فعدنـا إلى التردى فيها ، يخيل إليك أحيانـاً أن الكثيرين جداً منا يقـرءون القرآن ليعملـوا بضـده ، ولقد تفطنـت إلى فضائل الاتحاد أمم هى أبعـد مـاتكـون عن الإسلام ونجحت . فإن الروس فوق الثلاثمائة مليون والهنود فوق الستمائة والصين فـوق الألف مليون . والأمـريكيون فـوق الثلاثمائة ، وكل واحـدة من هذه أمـة متماسكة معتصمة بحبال أوطـانها وبالوحدة تواجه الـدنيا وتتخطى العقبات إلا المسلمين إلا العرب !

لم يعـرفـوا فى تاريخهم أو أمسهم إلا الخلاف والتفـرق والحروب ، والمأسـاة مستمرة إلى يومنا هذا . وقد أمرنا الله ألا نركن إلى غير أهل ديننا ، وانظر إلى الوفود العربية التى تحج إلى واشنطـن وموسكو ولندن وباريس تلتمـس الحلف والمعونة والتأييد ، وقل لى كم وفـداً عربيـاً إسلامياً يقبلـون على العواصم العـربية ، لحل الخلافات ، وأى البـلاد العربية صديق من أو حليف من ؟ لا شىء غير الفـرقة والخلاف ، لا شىء غير العـداوة والبغضاء ، ولقـد فتح المسلمـون بلاد فـارس ولكنهم لم يتتبعوا آل كسرى بـالقتل والتشريد ، ولكن الأمويين يتولـون الخلافة ،

فلا يكون لهم هم إلا إذلال العرب ومعاوية بن أبى سفيان ـ على رجاحة عقله ـ يأمر بسب على بن أبى طالب وآله على منابر الإسلام ، وهو هنا ينسى أن رسول الله ﷺ بعد فتح مكة نهى الناس عن سب أبى جهل إكراماً لابنه عكرمة ، وقال :

« لا تسبوا الأموات فإن السب لا يصل إلى الميت ، ولكنه يؤذى الأحياء » .

وبنو العباس يتولون الخلافة بعد الأمويين فيجعلونها بحار دم ، ويقترفون من الجرائم مايأنف منه أبعد الجاهلين عن الإسلام . وهل يعقل أن يكون الإنسان مسلماً ثم يقترف جناية بشعة مثل مذبحة أبى فطرس حيث ذبح داود بن على عم الخليفة أبى العباس السفاح فوق المائة أموى فيهم الصبيان والصبيات ، ثم مد النطع أى مفرشاً من الجلد وجلس وأمر بالطعام وأكل هو وأصحابه على جثث الموتى ! .

ثم نشكو من أعداء الإسلام ! .

ثم يتحالى بعضنا ويؤلف كتباً يرد بها على مايسميه بمكايد المستشرقين !

وهل للإسلام أعداء إلا أهله ؟

إننى هنا لا أسمى ، ولكن أدر بصرك فى عالم الإسلام من حولك ، وقل لى ماذا ترى هل نحن ـ فى أى بلد إسلامى ـ معتصمون بحبل الله أم بحبل الشيطان ؟ وهل أعجب من أن هناك عرباً مسلمين اليوم يؤيدون الروس فى مذبحة أفغانستان ؟

ثم نتعجب من المأساة الطويلة التى هى تاريخنا وما تتضمنه من مذابح المسلمين بعضهم لبعض وخياناتهم بعضهم لبعض ، كأنهم لم يقرءوا القرآن أو كأن القرآن أنزل لقوم غيرهم ، إن كل الذى يطلبه إلينا القرآن هو أن نعتصم جميعاً بحبل الله ولا نتفرق ومع ذلك فيبدو أن هذا أكثر مما نستطيع .

ثم نستطرد مع الآيات المباركات فنقرأ :

﴿ ولتكُن مِنكُم أمةٌ يـدعُون إلى الخيرِ ويأمُرون بالمعـروف وَيَنْهَوْن عنِ المنكر وأُولئك هُم المفلحُون ﴾ [آل عمران ٣/ ١٠٤] .

لقد حيرنى موقف فقهائنا من هـذه الآيات . إنها هنا فعل أمر واجب النفاذ وهى فيها أتصور قاعدة أساسية من قـواعد البناء والتنظيم الأساسى لأمة الإسلام وتفسيرها نجده فى السيرة النبـوية . لأن القرآن هو الشرع والقـانون ، والسنة هى التطبيق والتفسير .

نقرأ فى سيرة ابن إسحـق برواية ابن هشـام بعد تمام بيعـة العقبة « وقـد قال رسول الله ﷺ : أخـرجوا لى منكم اثنى عشر نقيباً ، ليكونـوا على قومهم بما فيهم فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً : تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس (١/ ٨٥) وبعد انتخاب هؤلاء يقول الرسول : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، وأنا كفيل على قومى . قالوا : نعم .

ولنلاحظ هنا أن رسول الله ﷺ لم يقم بـاختيار النقباء بنفسه ، بل طاب إلى الأوس والخزرج أن يختاروا بأنفسهم نقباءهم وبعد أن اختاروهم قال إنه هو يمثل قومـه يعنى القرشيين المهاجـرين ، أى أنه نقيبهم والمتحـدث باسمهم ، ثم يلى ذلك حـديث جـرى بين الأنصـار فى أهميـة البيعـة التى عقـدوهـا مع الـرسـول ومسئولياتهم فيها ، وعلى طول تاريخ الإسلام فى المدينة أيام الرسول نحس بوجود هذه الهيئة وأثرها . وابن حزم نفسه ، وهو رجل ذو حس تاريخى صادق كلما مر بواحد من النقباء أضاف فى أوصافـه أنه عقبى نقيب . أى أنه حضر بيعة العقبة وكـان من بين النقباء الـذين انتخبوا ، فهـى لم تكن هيئة شكليـة بل أساسيـة ، ورسول الله ﷺ يأخذها مأخذ الجد ، والصحيفة التى كتبها الرسول بين مؤسسى أمة الإسلام ، وقـد أشرنا إليها إنما هى ثمرة حوار النبى ﷺ مع أصحـابه فى هذا المجلس الذى نستطيع أن نسميه مجلس الأمة .

وهذه أيها الإخوة هى الأمـة التى تدعو إلى الخير وتأمر بـالمعروف وتنهى عن المنكر . هى جماعة تختارها الأمة اختياراً حراً لتتولى شئونها .

وعلى العـادة نجد أن الله سبحـانه يشرع . والـرسـول يطبق ويرسم طـريق التنفيذ ونحن ننسى ، ثم تكون الكوارث .

لقد خلق الله أمة الإسلام أمة شورية ، أمة تحكم نفسها بنفسها . أمة تختار أولئك الذين يسيرون أمـورها اختياراً حراً . أمـة تُحترم فيها قيمة الإنسان وكـرامة الإنسان ورأيه ، وإليكم سيرة الرسول ﷺ فاقرءوا فيها كيف كان يعامل أصحابه كيف كان يحترم رأى أصغر واحد منهم ويعطيه حقه ومكانه .

ثم مضى رسول الله ﷺ وجاءت الخلافة بعـد رسول الله ، وكانت على أيام الشيخين خـلافة شـورية ، وأبـو بكر وعمـر على جلال قـدرهما كانـا يستشيران ويأخذان برأى الجماعة وقد حدث فى أيام أبى بكر أن رجلاً من أهل الردة عاد إلى الأمة ثم ارتـد مرة أخرى فغضب أبو بكـر ، وفى سورة غضبه أمر بإحـراقه حياً . فظل بقية عمره نادماً على الغفلة « وعلى فراش الموت سأل الله أن يغفرها له » .

وأمـة الإسلام أمـة واحـدة : ﴿ **إن هـذه أمتكم أمةً واحـدةً وأنـا ربكم فاعبدون** ﴾ [الأنبياء ٢١/ ٩٢] وفى هـذه الآية حكمـة بالغـة ، لأنها تقول إن هذه الأمة الواحدة هى أمة الله التى تعبـده حق عبادته ، فهى أمة الإيمان الواحد لا السلطان الواحـد ، فقد تتعدد الوحـدات السياسية فى نطاق أمـة الإيمان فلا يتأتى من ذلك أى ضرر ، وقد أقر رسـول الله ﷺ ذلك فقد كتب إلى جيفر وعبد ابنى الجلنـدى شيخى عمان : أسلما تسلما « فإنى رسـول الله إلى النـاس كافـة ، لأنذر من كان حياً ، ويحق القول على الكافرين وأنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقـرا بـالإسـلام فـإن ملككما زائل » وكتب إلى هـوذة بن على شيخ اليمامة : « سـلام على من اتبع الهدى ، واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافـر . فأسلم تسلـم ، وأجعل لك مـاتحت يـديك » لأن وحـدة الإسـلام

والإيمان هى الأساس ، أما الوضع السياسى فى أى ناحية من نواحى أمة الإسلام فهو صورة للحكم لا يشترط فيها الإسلام إلا التراضى والعدل وإقامة الدين ، والناس بعد ذلك أحرار تحت راية الإسلام فى أن يقيموا ملكاً أو سلطاناً أو جمهورية أو مايشاءون ، لأن الإسلام لا يهتم إلا بروحه وصلبه . أما خضوع أمة الإسلام كلها لسلطان سياسى واحد فأمر ابتدعناه ورجعنا به إلى استبداديات ماقبل الإسلام ، وقلنا إنها خلافة لرسول الله ، ولكننا جعلناها ملكاً وقطعنا رقاب الناس ، وانصرف اهتمامنا الأول إلى الخليفة دون الخلافة ، إلى الإنسان صاحب الملك الزائل دون خلافة الرسول ذات الجاه الدائم ، وفى كتب الفقه الإسلامى فصول بعد فصول عمن يستحق الخلافة ، وهذا كله كلام سياسى بعيد عن صلب الإسلام .

وفى القرآن آية نرددها دون أن نتدبر معناها ، هى قوله سبحانه فى سورة آل عمران : **﴿ كنتم خيرَ أمة أُخرِجت لِلناسِ . تأمُرونَ بالمعرُوفِ وتَنهون عنِ المنكر وتُؤمِنون بِالله ﴾** . [٣/ ١١٠] .

ونحن فى العادة نستشهد بنصفها الأول مع أنه نصف جملة ، فهو جواب الشرط أما جملة الشرط فقوله تعالى : « تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . فإن أنتم فعلتم ذلك كنتم خير أمة أخرجت للناس ولو أن الله سبحانه أراد أن يقول إنكم خير أمة أخرجت للناس لمجرد أنكم مسلمون لقال أنتم خير أمة أخرجت للناس ولكن العبرة هنا فى « كنتم » وهى جواب الشرط .

* * *